القباب ومناطق الانتقال في العمارة الدينية بالجزائر خلال العصر العثماني

Domes and transition centers varied in religious architecture in Algeria during the Ottoman era

د سعيد بوزرينة*

المركز الجامعي نور البشير بالبيض – الجزائر

saidbouzrina@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/03 تاريخ القبول 2022/03/04 تاريخ النشر 2022/05/04

ملخص:

تنوعت القباب ومراكز الانتقال في العمارة الدينية بالجزائر خلال العصر العثماني، وعلى غرار الطراز المحلي الموروث، هناك طراز وافد الذي جلب من تركيا يتمثل في القبة المركزية المضلعة الضخلة الأكثر استعمالا، حيث نجدها في المساجد والجوامع والزوايا كجامع صفر بن عبد الله جامع صفر بن عبد الله، وجامع كتشاوة الأصلي، وجامع الداي (القصبة الداخلي) وجامع الباشا بوهران وجامع صالح باي بعنابة وفي زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وقاعة الضريح لزاوية سيدي أحمد بن يوسف وقاعة الضريح لزاوية تماسين بتقرت وفي الزاوية المختارية ببسكرة.

الكلمات المفتاحية: القبة المركزية، مناطق الانتقال، العصر العثماني، الموروث المحلي، الطراز الوافد.

Abstract: Domes and transition centers varied in religious architecture in Algeria during the Ottoman era, and on Similar to the local inherited style, there is an imported style that was brought from Turkey, which is

* **المؤلف المراسل**

the dome The polygonal central is the most widely used polygon, as we find it in mosques and mosques as a mosque Safar ibn Abdullah, the mosque of Safar ibn Abdullah, the original Jami 'Katshawa, and the al-Dai mosque (al-Kasbah Al-Dakhli), the Pasha Mosque in Oran, the Salih Bey mosque in Annaba, and in the corner of Sidi Abd al-Rahman al-Tha'albi,The mausoleum hall is for Zawiya Sidi Ahmed bin Youssef, and the mausoleum hall is for Zawiyat Tamasin, Btqret, and in the corner Al-Mukhtariah Biskra

key words: The central dome, transition zones, the Ottoman era, the local heritage, the new style.

مقدّمة:

لقد ساهمت عوامل عديدة في احتفاظ كل قطر من الأقطار العربية بطرازه المحلي الموروث واستمراره خلال العصر العثماني، إلاّ أنّ ذلك لم يحل دون تسرب الطراز العثماني إلى تلك الأقطار من جهة وتبادل التأثيرات المعمارية والفنية بينه وبين الطرز المحلية من جهة ثانية[1].

ويرى الأستاذ جورج مارسيه أنّ العمارة في الجزائر خلال العهد العثماني كانت عبارة عن مزيج بين الطراز المحلي التقليدي المغربي والطراز الوافد الذي جلب من تركيا، حيث أنّ المساجد والزوايا تتميز بالتخطيط المحلي الذي كان شائعا من قبل، يضاف إليها تخطيط المساجد والزوايا العثمانية والتي يتجلى في بعض العناصر المكونة للزاوية كقاعة الصلاة (المسجد) وقاعة الضريح والتي تتميز بالقبة الكبيرة المسماة بالقبة المركزية، وهو الطراز التي تبنته تركيا[2].

أولا. القباب في العمارة الدينية:

1. تعريف القبة:

القبة هي البناء الدائري المقعر من الداخل المقبب من الخارج، تقام مباشرة فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية، أو على حنايا ركنية أو مثلّثات كروية أو

مقرنصات لتسهيل الأنتقال من المربع إلى المثمن ثّم إلى الدائرة، وقد تكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف دائرية، أوبصلية أو مخروطية أو مضلّعة[3].

2.أنواع القباب:

تنوعت القباب في العمارة الإسلامية، وظهرت أنواع عديدة كالمضلعة التي وجدت في قبة السيدة رقية بالقاهرة، والكروية التي وجدت في جامع الحاكم بأمر الله والأزهر والجيوشي، ونصف الكروية والبيضوية التي ظهرت في عهد المماليك، والمخروطية المقرنصة التي ظهرت في العراق في العصر السلجوقي، مثل قبة زمرد خاتون وقبة الشيخ السهروردي، والقباب البصلية التي ظهرت في العصر المغولي، واستخدمت في الهند[4].

3.تقنية بناء القبة:

ومن خلال دراسة القباب التي وجدت في العمارة الدينية على غرار المساجد والزوايا، خاصة في مسجد صفر بن عبد الله والجامع الجديد وجامع الداي بمدينة الجزائر والجامع الباشا بوهران وجامع صالح باي بعنابة، وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية سدي أحمد بن يوسف، والزاوية المختارية، وضريح زاوية تماسين، فإنّها استخدمت لتغطية المساحات الواسعة، فإذا كانت المساحة المربعة يلزم تحويل المربع إلى دائرة بإقامة مثلثات كروية أو حنايا ركنية في منطقة انتقال القبة.

يتم عملية بناء القبة ثمانية الأضلاع، بوضع جدران ذات أسس مربعة الشكل، والتي سيتربع عليها المجسم الدائري للقبة، وهذه الجدران متكونة من وحدات الآجر التي توضع بطريقة "طوليا وعرضي"، كما يراعي البناء فيها عدم اختلال الصفوف والمداميك عن طريق عمود من الخشب لف حوله خيط وهو بمثابة أداة قياس وبناء في آن واحد، بحيث يكون طول الخيط يساوي ارتفاع القبة المراد صنعها، كما يراعي البناء فتحات القبة أثناء الأشغال[5]. (**الشكل1**).

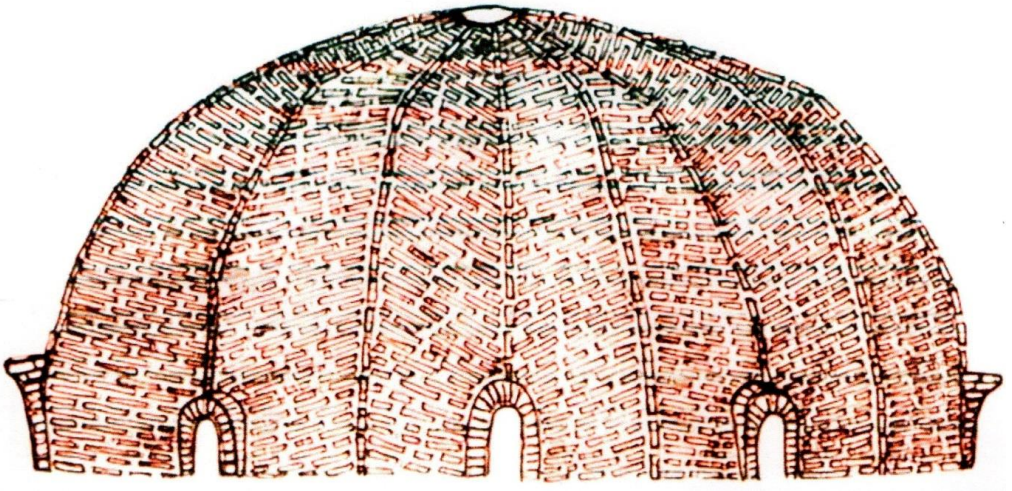

شكل1/ عملية بناء القباب – القبة المركزية، عن: رفيقة لعزازي

4.القبة التي تتقدم المحراب:

انتشرت في كافة المساجد الإسلامية منذ القديم، بالجامع الأموي بدمشق، والجامع الكبير بالقيروان ويرجع وجوده إلى نوع من التأكيد المعماري على مكان المحراب وتغطيته بسقف مخالف لسقف المسجد، إضافة إلى أنّ هذا المكان كان يخصص للخليفة[6].

كما نجدها في المساجد المرابطية كالمسجد الكبير بالجزائر ومسجد الكبير بتلمسان، أمّا في العهد العثماني بمدينة الجزائر فنجدها فقط بمسجد الداي للقصبة الداخلي و بمسجد عين البيضاء بمعسكر.

واعتبرت هذه القبة عنصرا معماريا هاما في العمارة الإسلامية، غير أنّها انعدمت في بعض المساجد الجزائرية. (**صورة 1**).

صورة 1 / **القبة التي تتقدم المحراب.**

5.الأقبية:

نجد هذه الوسيلة جنبا إلى جنب مع القباب المركزية، مثل ماهو عليها في الجامع الجديد وهي على ثلاثة أشكال:

– الأقبية البرميلية:

نجد هذا النوع من الأقبية في الجامع الجديد حيث تحيط بالقبة المركزية من أربع جهات ويمتد أحدها بطول ثلاثة أساكيب، وهي كبيرة المقاسات، بينما نجدها في زاوية سيدي عبد الرحمان بمدينة الجزائر بأقبية مهدية صغيرة الحجم.

– الأقبية المتقاطعة:

هي عبارة عن تداخل وتقاطع قبوين مهدبين لهما نفس الارتفاع. طريقة التسقيف هذه أخذها المسلمون أيضا عن العمارة الساسانية ، فقد وجدت قبل ذلك في الكرخ في طاق إيوان، واستعملت في العصر الأموي في قصير عمرا في الغرقة الدافئة وفي حمام الصرخ[7].

أمّا في المغرب فنرى أول مبنى مسقوف بطريقة الأقبية هي في قاعة الصلاة في الدور العلوي لرباط سوسة (206هـ / 821 – 822م)، كذالك جامع أبي فطاطة بسوسة (223- 226هـ / 838 – 841م)، كما أنّه يعتبر الأساس الذي أنشئ على نمطه الجامع الكبير بسوسة (236هـ / 850- 851م) وذلك من حيث طريقة التسقيف بالأقبية في شمال إفريقيا[8]، كما وجد عند الزيريين والموحدين، مما يعني أنّه عنصر محلي استمر في الوجود[9].

كما استعملت بكثرة في مساجد مدينة الجزائر وهي تعوض القبيبات في إحالتها بالقبة المركزية نجد منها أحد عشر قبوا بجامع صفر بن عبد الله وعشرة بجامع الداي (جامع القصبة الداخلي)، وفي زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي. (**شكل 2**) (**صورة 2**) .

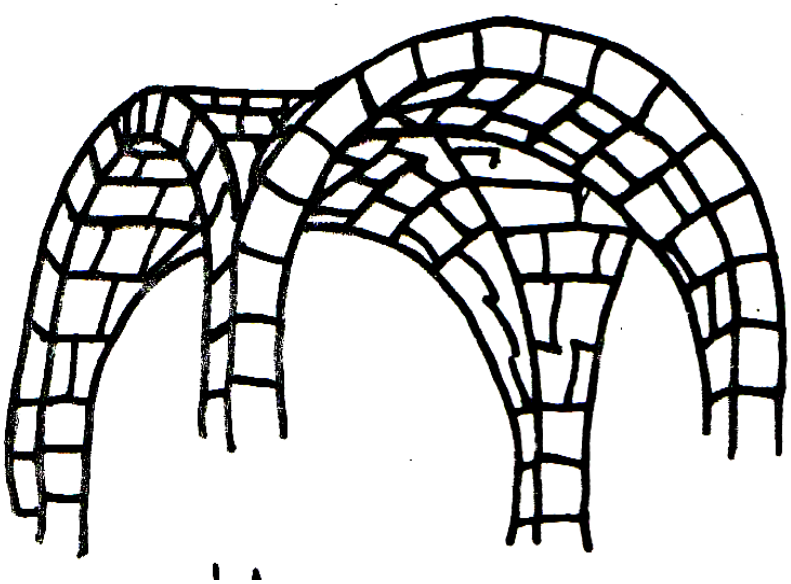

شكل 2 / **جامع البراني – القبو المتقاطع –**

صورة 2/ **زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي – القبو المتقاطع**

– الأقبية المضلعة:

هذا النوع من الأقبية يشبه إلى حد كبير الأقبية المتقاطعة، لكن عوض أن يبرز تقاطعهما إلى الداخل فإنّه يبرز إلى الخارج، نجدها في الجامع الجديد بمدينة الجزائر، وعددها أربعة تقع كلها على مسقط مستطيل كما شكلت بها أيضا عقود منكسرة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا النوع من الأقبية قد وظف في عمائر الصنهاجيين وفي برج المنار في قلعة بني حماد، وكذا في الفترة الموحدية[10].

6.مناطق الانتقال:

هي كل وسيلة تسمح للشكل المربع بالانتقال إلى الشكل المثمن ثمّ الدائري، ولهذه المناطق أشكال عدة يتم استعمالها تبعا للتوسع في استعمال القباب وأنصافها، ولقد عرفت الجزائر في الفترة العثمانية أشكالا من وسائل الانتقال:

– الحنايا الرّكنية:

هي الدخلة المعقودة غير النافذة التي تكون أعلى زوايا جدران البناء التي تكون أعلى زوايا جدران البناء المربع لحمل القبة، وعملت لغرض وظيفي في غالب الأحيان ولغرض جمالي تزييني في أحيانا أخرى[11].

فهي الأكثر استعمالا في المغرب الإسلامي، وتعتبر وسيلة لتحويل القاعدة المربعة إلى المثمنة يسهل ارتكاز القبة فوقها، ويرجع البعض إلى أنّ هذه الطريقة قد وجدت في بادئ الأمر في بلاد فارس واستخدمت في قاعات بعض القصور الساسانية الموجودة في فيروز اباد وسرقستان وقصر شيرين وكان ذلك في القرن الثالث الميلادي، ومن تم انتقلت إلى الأقاليم الشرقية للامبراطرية البيزنطية في القرن الخامس الميلادي والى أرمينيا في القرن السابع[12].

وقد ظهر استعمال هذه الطريقة في عهد العباسيين في العراق في مدخل باب العامة لقصر الخليفة المعتصم في سامراء في القرن 3هـ /9 م، كما استعملت أيضا في عدة أجزاء من قصر الأخيضر العباسي في العراق وأيضا في جامعي الأزهر والحاكم بمصر[13].

ثمّ انتشرت هذه الحنايا الركنية في شمال إفريقيا والأندلس، وأغلب مناطق البحر الأبيض المتوسط، ومن أجمل هذه الأمثلة ما شوهدت في تحويل القبة التي تتقدم المحراب في مسجد القيروان.

ولقد استعملت هذه الوسيلة في العمارة الدينية في العهد العثماني، حيث نجدها في كل من جامع صفر بن عبد الله، وجامع كتشاوة الأصلي، وجامع الداي (القصبة الداخلي) وجامع البشا بوهران وجامع صلاح باي بعنابة وفي قاعة الضريح لزاوية تماسين بتقرت وفي الزاوية المختارية ببسكرة. (**شكل 3**) (**صورة 4،3**).

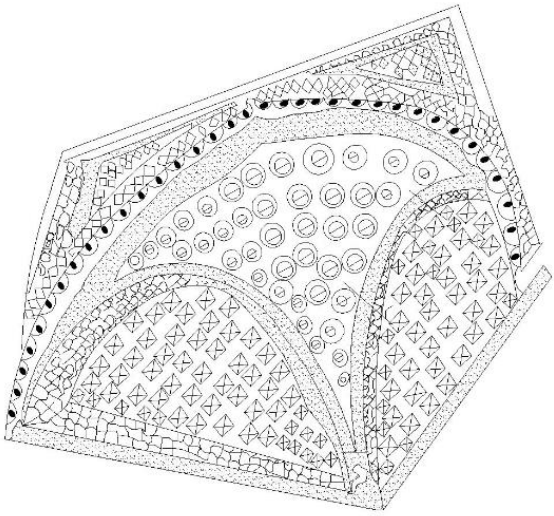

شكل3/ **انموذج من المثلّثات الكروية**

صورة3/ **الزاوية المختارية – المثلّثات الكروية**

صورة 4 / **جامع صفر – حنية ركنية –**

– المثلّثات الكروية:

هي عبارة عن كتل بنائية تملأ الأركان الأربعة، تهبط من مستوى ركيزة القبة إلى الأسفل بنفس المنحنى، حيث ترتكز القبة على قاعدة المثلث في حين يكون رأسه متدليا للأسفل، وأطلق عليها اسم الخناصر المتدلية[14].

لها وظيفة معمارية وزخرفية، وهي فريدة من نوعها في بلاد الجزائر، حيث لا توجد إلاّ في الجامع الجديد بالجزائر.(الصورة 5).

صورة 5 / **الجامع الجديد – المثلّثات الكروية**

– النوع الثالث من مراكز الانتقال في الجزائر، هي أن القبة توضع مباشرة على عقود،أي أنّ تحويل المربع إلى المثمن، لم يكن من صنع الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية، التي عرفت بها العمارة العثمانية بالجزائر، وإنّما تم بوضع عقودا ترتكز على عمودين حلزونين، في كل ركن من أركان القاعة المربعة، نجد هذا النموذج في زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر وفي قاعة ضريح زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة. (**صورة 6، 7**)

صورة 6/ **زاوية سيدي أحمد بن يوسف – طريقة الانتقال**

صورة 7/ **زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي – طريقة الانتقال**

والملاحظ أنّه بالرغم من كون وسيلة التسقيف المتمثلة في القباب هي وافد عثماني، إلاّ أنّه لم تستعمل القبة النصف الكروية وهي المستعملة بكثرة في تركيا، بل إنّ القبة المضلعة "القبة المركزية"[15] هي التي كان لها حظ أوفر في الاستعمال بالجزائر.

ثانيا. نماذج عن القباب في الجزائر:

1. قباب الجامع صفر بن عبد الله بمدينة الجزائر:

يعتبر الجامع صفر بن عبد الله من المساجد العتيقة في مدينة الجزائر في العهد العثماني، يقع بحي الجبل[16] عند زاوية شارع الإخوة بشارة (كليبر سابقا) وشارع روان عبد الحميد (سابقا مونتابور).

سمي بجامع صفر نسبة إلى صفر بن عبد الله، اسمه متداول باسم سافير، واحتفظ المسجد بهذا الاسم حتى اليوم وهو تحريف لاسم صفر.

لقد أرّخ هذا الجامع بلوحتين كتابيتين تذكاريتين، الكتابة الأولى تحمل تاريخ تأسيس هذا المبنى (941هـ / 1534 – 1535م)، وتذكر اسم خير الدين و صفر ، والكتابة الثانية تحمل تاريخ التجديد 1242 هـ / 1826 – 1827 م وتذكر اسم حسين باشا.

يعلو بيت الصلاة قبة مركزية تقوم على مربع طول ضلعه 9,45م وهي ذات ثمانية أضلاع عرض كل واحدة 3,87م، فتحت بها نوافذ صغيرة معقودة ثمّ منطقة انتقال القبة التي تتميز بالحنايا الرّكنية الموجودة في الزوايا الأربع للمربع المركزي، حيث تتخذ هذه الحنايا الركنية شكل ربع قبة قطرها 3,45م، وهذه الحنية مفصصة يقدر عددها ب65 فص ولقد زخرفت وسط قاعدة الحنية بمحارة ذات حجم صغير، بها إشعاعات صغيرة عددها ثمانية، أمّا الإشعاعات الكبيرة فعددها 12. (**مخطط1**)

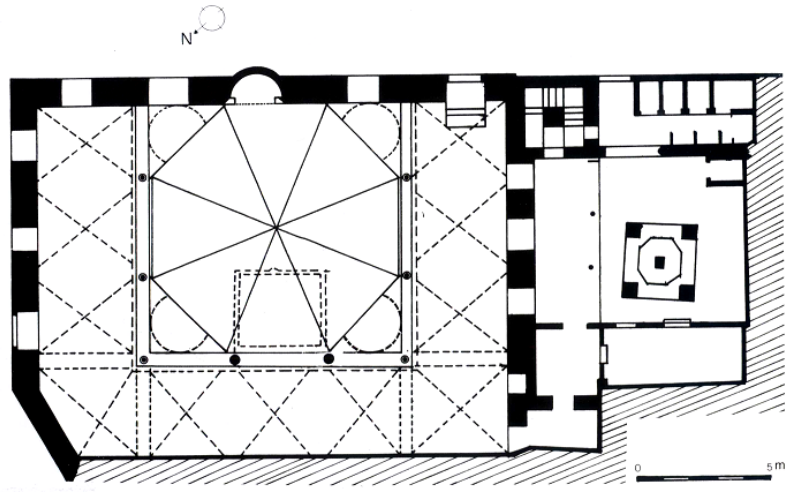

مخطط 1 / **جامع صفر بن عبد الله، عن: دوكالي**

2. قباب الجامع الجديد:

يقع الجامع الجديد أو الجامع الحواتين وكما تساميه العامة جامع البطحاء في ساحة الشهداء أمّا البقعة التي أنجز فوقها الجامع الجديد فكانت مقرا لزاوية مولاي بوعنان التي تضمنت " المدرسة البوعنانية "، قبل سنة البناء، كان محيطها أرقى الأحياء على الإطلاق بمدينة الجزائر، أين يوجد حي القيسارية بزاويته الشهيرة وكانت هذه " الحومة " أيضا مركزا لعدد من الحرف الفاخرة مثل الصياغة والنساجة، كما كان محيط زاوية مولاي بوعنان حيّا تكثر فيه المقاهي الشعبية الممتدة حتي حي البحرية[17].

شيّد هذا المسجد خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وبالضبط في سنة 1070هـ / 1660م.

تظهر القبة المركزية في الجزء الأوسط من الأسكوب الثاني بعد أسكوب جدار القبلة، يبلغ قطرها حوالي 10م، وأرتفاعها 24م، تتخلل هذه القبة أربع نوافذ، ويعلو الجزء المقبب من الخارج ثلاث تفافيح تنتهي بهلال. (**الصورة 9**).

أمّا من الداخل فهي تقوم على أربعة عقود ضخمة، زيّنت الفراغات الناتجة بين كل عقدين اثنين بزخارف هندسية، وتمثلت منطقة الانتقال في الحنايا الرّكنية على هيئة مثلث به زخارف نباتية. (**صورة 8**).

نجد عقود الجامع الجديد بشكلها النصف الدائري، مع استعمال المثلثات الكروية كوسيلة انتقال وهي بسيطة جدا وخالية من المقرنصات. (**مخطط2**).

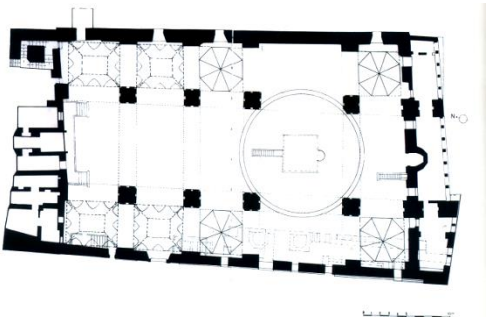

مخطط 2 / **الجامع الجديد، عن: دوكالي**

صورة 8 / **الجامع الجديد – القبة من الداخل–**

صورة 9/ **الجامع الجديد – القباب من الخارج**

3. قباب جامع الداي بمدينة الجزائر:

نجد موقع هذا المسجد الجميل والمميز ضمن الوحدات المعمارية لقلعة الجزائر، يحد المسجد من الشرق مسجد الجيش والمطابخ من الشمال و قصر الآغا وحمام الداي من الغرب، ونادي الجيش وحمام الجيش من الجنوب.

فقد بني هذا الجامع حسب الكتابة الأثرية، في سنة 1234 هـ / 1819م من طرف حسين باشا آخر دايات الجزائر.

اتخذت بيت الصلاة الشكل المربع تتوسطها قبة ذات ثمانية أضلاع تغطي مساحة تبلغ 117,70 م^2 ، ويبلغ ارتفاع القبة 10,95م وترتكز على 32 عمودا من الرّخام تشكل قاعدة رباعية وبكل زاوية من زوايا القاعة الرّباعية نجد مجموعة من أربعة أعمدة تحصر بينها مجموعات مضاعفة من الأعمدة بعضها حلزونية مضلعة و بعضها الآخر أسطواني، يحيط بالقاعة الرّباعية أربع بلاطات تنتهي بقبيبات ثمانية الأضلاع. (**صورة 10**) (**مخطط 3**).

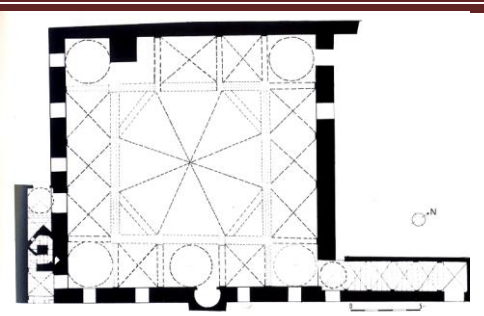

مخطط 3 / **جامع الداي، عن: دوكالي**

صورة 10 / **جامع الداي (جامع القصبة الداخلي) – القبة من الخارج**

4. قباب جامع الباشا بوهران:

يوجد هذا الجامع قرب قصر الأحمر الذي أسس في العصر الوسيط من طرف تجار البندقية، وجدده أبو الحسن المريني عام 1331م، وأصبح مقرا لحكم الإسبان منذ 1509م واتخذه محمد الكبير مركزا لحكمه بعد فتح وهران[18].

أسّس جامع الباشا سنة 1792م من طرف حاكم الجزائر حسن باشا وهذا حسب ما تشير إليه كتابة أثرية محفوظة بمتحف وهران.

بيت الصلاة بها قية مركزية ذات ارتفاع 11م، مضلعة الشكل، تحيط بها قباب صغيرة يبلغ عددها إحدى عشرة قبة. (**صورة 11**)

صورة 11/ **جامع الباشا بوهران – القبة من الخارج**

5. قباب جامع صالح باي بعنابة:

يقع جامع الباي بعنابة في وسط الساحة المعروفة اليوم باسم ساحة ساحة 19 أوت 1956م وهي تقع بدورها في قلب المدينة.

ولقد أطلق على هذا الجامع اسم الجامع الباي نسبة إلى الحاكم صالح باي، وهو المؤسس سنة 1792م[19].

بيت الصلاة ذات قبة مركزية، ارتفاعها حوالي خمسة أمتار، تميزت بالرقبة المثمنة، وبعدد من القباب الصغيرة يبلغ عددها ستة. (**صورة 12**).

صورة 12/ جامع صالح باي بعنابة – القبة من الخارج

6.زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي بمدينة الجزائر:

يقع في شارع ابن شنب، خارج أسوار المدينة من الجهة الغربية التي كانت تغلق أبوابها عند تأدية صلاة الجمعة.

يقال إنّ أول تجديد لبنيان هذا المقام كان سنة 1020هـ / 1611م في عهد مصطفى باشا، أي بعد 145سنة من وفاة صاحب المقام، ثمّ وقع تجديد ثاني على يد الوكيل عبد القادر سنة 1037هـ /1627م في عهد حسين باشا، أمّا التجديد الثالث فقد كان على يد الحاج أحمد سنة 1108هـ / 1696م، ثم تجديد رابع على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة1342 هـ / 1730م في عهد عبدي باشا[20].

كما نجد قبة مركزية تغطي كامل مساحة بيت الصلاة فهي مضلعة الشكل، تظهر من الخارج مزينة بفتحات بارزة معقودة وقد فتحت في رقبتها 24 نافذة للإضاءة والتهوية[21]، أمّا من الداخل فهي مفرغة بزخارف قوامها شجرة السرو التي كانت مفضلة لدى الأتراك.(**صورة 13**) (**مخطط 4**).

صورة 13/ زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي – القبة من الخارج.

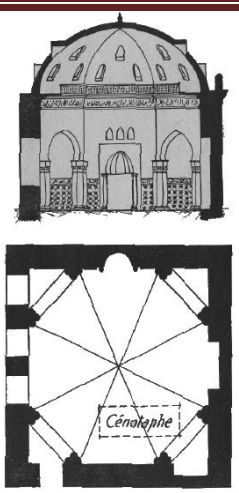

مخطط 4 / **زاوية سيدي عبد الرحمان – مخطط الضريح سنة 1696، عن: مارسيه**

7. زاوية سيدي أحمد بن يوسف:

تقع الزاوية بمدينة مليانة قرب مسجد سيدي أحمد بن يوسف المسمى بنفس إسم الزاوية، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 130كلم .

يظهر لنا جليا أنّ المبنى الزاوية برجع إلى العهد العثماني، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنّ محمد الكبير باي وهران هو الذي قام ببناء زاوية سيدي أحمد بن يوسف سنة1192هـ/1774م [22].

يأخذ شكل قاعة الضريح لزاوية سيدي أحمد بن يوسف الشكل المربع، وهي مغطاة بقبة ضخمة ثمانية الأضلاع ترتكز على ثمانية أعمدة حلزونية، موزعة باثنين، إثنين في كل ركن من أركان المربع، ليحمل كل منهما عقدا متجاوزا منكسرا.

والملاحظ في هذه القبة، أن تحويل المربع إلى المثمن، لم يكن من صنع الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية، التي عرفت بها العمارة العثمانية بالجزائر، وإنّما تم بوضع عقودا ترتكز على عمودين حلزونين، في كل ركن من أركان القاعة المربعة، أما من الخارج فتبدو

لنا القبة بارزة ببدن مضلع، تتخلل أضلاعه عقودا صماء تفتح بها فتحات بالتناوب، سقفه هرمي الشكل، مغطى بقرميد أخضر اللّون.

إن طريقة تسقيف هذه القبة تشبه إلى حد كبير طريقة تسقيف زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وضريح سيدي بومدين، وكذا سيدي الحلوي بتلمسان، يقول النقيب كوفالت أن مثل هذه القباب كانت من اختراع أندلسي، ثمّ انتقلت إلى شمال إفريقيا لتنتشر في كثير من عمائرها بالأخص في المناطق التي تكثر فيها الأمطار، إذن فإنّ تسقيف قبة ضريح سيدي أحمد بن يوسف ما هي إلاّ نتيجة فرضتها الظروف الطبيعية بالمنطقة. (**شكل 4**)

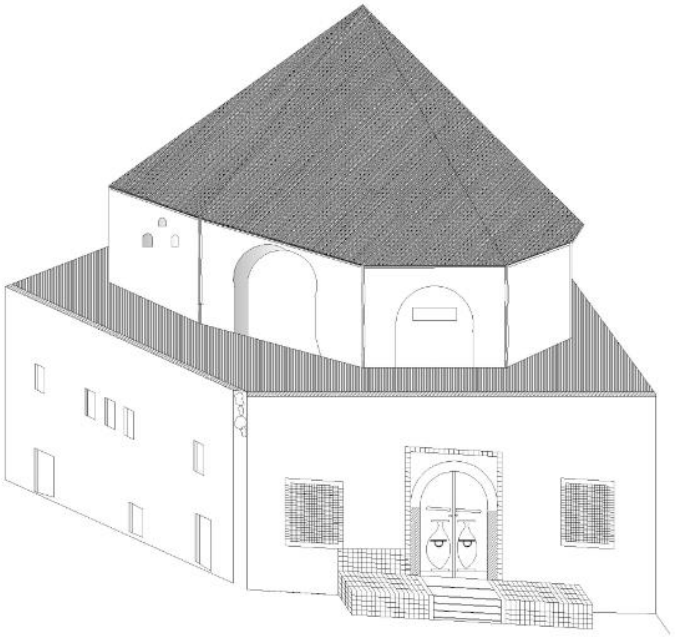

شكل4/ **زاوية سيدي أحمد بن يوسف – قبة الضريح**

8. القباب في الزاوية المختارية ببسكرة :

تقع الزاوية في الجزء الشرقي من المدينة القديمة لأولاد جلال غرب ولاية بسكرة بحوالي 90 كلم، وبعد اتساع المدينة القديمة، أصبحت الزاوية تحتل الجزء الجنوبي الذي يشرف على ساحة الخندق أهم المواقع التاريخية للمدينة.

تأسست زاوية الشيخ المختار سنة 1231هـ/1815م، حسب شيوخ الزاوية، بينما بني الضريح في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي.

نجد القبة في الزاوية المختارية في وسط قاعة الصلاة، تحف بها قباب أصغر حجما.يبلغ عدد القباب في كل من المسجد والضريح اثنتا عشر قبة، عمد المعماري أن يكون النظام التوازني فيها.

حيث يرتكز هذا النوع من القباب على رقبة القاعدة كواسطة بين المربع والشكل الدائري الضروري لتكوين القبة، كما تنتقل القبة من الشكل المربع الى الثماني بواسطة حنايا ركنية. (**صورة 14**)،(**شكل5**).

صورة14/ **الزاوية المختارية – القبة من الداخل**

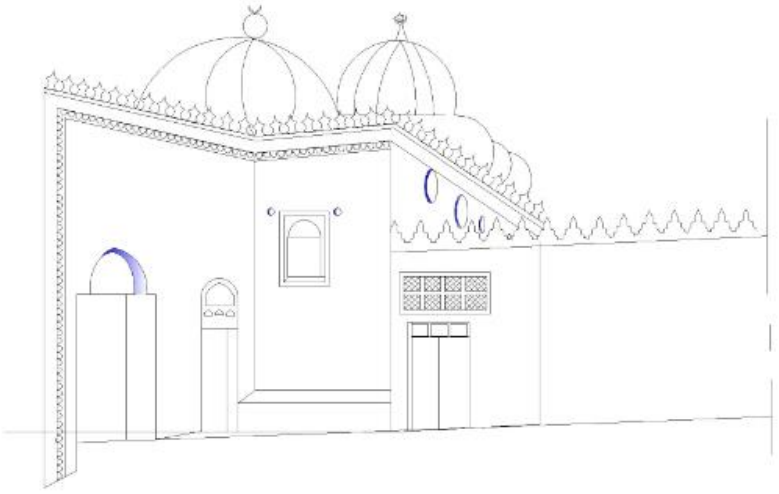

شكل5/ **الزاوية المختارية – الواجهة الخارجية لشكل القباب**

9. القباب في زاوية تماسين:

تقع زاوية تماسين في تملاحت بإقليم وادي ريغ[23]، والذي يقع في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية، تبعد عن تقرت بحوالي 13كلم، وعن ورقلة بـ160كلم، وعن الجزائر العاصمة بـ650 كلم.

تأسست سنة 1220هـ/1805م على يد الحاج أحمد التماسيني[24].

إنّ القباب الموجودة في الزاوية على نوعين، نوع يتمثل في قبة الضريح، ونوع آخر يتمثل في القباب النصف دائرية.

وقد زينت قبة الضريح بزخارف جصية، وزخارف بالألوان، مع الزخارف الكتابية، وهندسية.

كما استعملت الأقبية بالزاوية في تسقيف أروقة وغرف بعض البيوت، بحيث أنّ بعضها يحمل على عقود متجاوزة ترتكز على دعائم ضخمة. (**صورة16،15**).

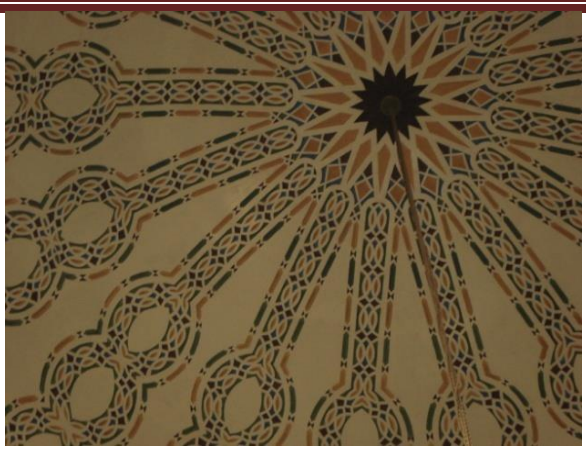

صورة15/ **زاوية تماسين– القبة من الداخل**

صورة 16/ **زاوية تماسين – القبة من الخارج**

خاتمة:

نستنتج من خلال هذا البحث عن القباب ومراكز الإنتقال بمدينة الجزائر خلال العصر العثماني النقاط التالية:

– وفّر المعماري في بيت الصلاة أفضل الحلول المناسبة ليعطي لنا ما نسمّيه بالوحدة المكانية وذلك بتقليصها من عدد الأعمدة والدعامات التي كانت تحمل بوائك البلاطات والأساليب ليعطي لنا بيت صلاة ذات قبة مركزية ضخلة.

– ترتكز القبة المركزية على عقود متجاوزة منكسرة هي ظاهرة مغربية محضة لأن قباب المساجد التركية ترتكز على عقود نصف دائرية.

– أكثر المعماريون من فتحات الإضاءة والتهوية على جميع المستويات خاصة على القبة بأجزائها وهذا ناتج عن التخلي على كل من بائكة العقود المفتوحة المطلة على الصحن وتعدد المداخل وهذان العنصران هما اللّذان كانا يوفران الضوء والتهوية اللازمة.

– اعتمد المعماري في زاوية سيدي أحمد بن يوسف على وسيلة أخرى غير الحنايا الركنية ولا المثلثات الكروية لتحويل المربع إلى مثمن، وهي وضع عمودين في كل ركن من الأركان الأربعة لمربع القاعة يحملان عقودا تؤدي دور التحويل إلى شكل المثمن.

---

[1] محمد حمزة إسماعيل الحداد، *بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية*، ط2، دار القاهرة، القاهرة، 2004، ص75.

[2] Marçais (G.), *L'art en Algérie, imprimerie Algérienne*, Alger, 1906, p.132.

[3] عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مذبولي، القاهرة، 2000، ص 222.

[4] محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية، خصوصيتها، ابتكاراتها، جماليتها، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 1998، ص75، **وانظر**: بن بلة خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العصر العثماني، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008/2007، ص250 – 265.

[5] إبراهيم عميري، *مواد وتقنيات العمارة القديمة*، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 2010،

ص 182، و**انظر أيضا:** رفيقة لعزازي عتيق ، *مواد وتقنيات البناء خلال العهد العثماني*، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في الآثار العثمانية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2013/2012، ص 92.

[6]Bourouiba(R.), *Apport de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique ,O.P.U* , Alger, 1986, p.225.

[7] كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، القاهرة، 1987، ص144.

[8] كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص145.

[9] *Golvin (L.), Essai sur l'architecture religieux musulmane,* T1,Paris, 1970, *p.160.*

[10] Golvin (L.), Op.Cit, p.161.

[11] عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص26،27.

[12] كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص80.

[13] نفسه، ص79.

[14] ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1994، ص32،33.

[15] **القبة المركزية:** يرجع أصل هذا الطراز (الطراز الوافد العثماني) إلى المباني ذات القبة المركزية ومثال على ذلك كنيسة آيا صوفيا التي أصبحت مسجدا في عهد السلطان محمد الفاتح بعد فتحه لمدينة اسطنبول سنة857هـ / 1453م، ثمّ وتواصلت المحاولات إلى وحدة مكان في بيت الصلاة وذلك بتقليص أكبر عدد من الأعمدة أو الدعامات التي ترتكز عليها القبة المركزية، إنّ التوسع في استخدام عنصر القبة المركزية وأجزائها أوالقبيبات الصغيرة على يد المهندس المعماري سنان في تركيا، ومن جاء بعده، وذلك بالإمكانيات والقدرات والخبرات التي تحلى بها

المعماريون العثمانيون، وهي العوامل التي مكنتهم من التلاعب بها موضعا وحجما وتجزئة، حيث تتمتع بالتناغم والانسجام والترابط والتدرج بطريقة سيمترية وأسلوب جمالي، حيث يهدف الوصول إلى وحدة المكان في بيت الصلاة، كجامع با يزيد الذي بني سنة912هـ / 1506م، وجامع شهزداه الذي بني سنة 951هـ – 955هـ / 1544– 1548م، ويعتبر جامع السليمانية بأدرنة قمة في العمارة الإسلامية، إذ بلغت القبة المركزية أرقى تطورها حيث يقدر قطرها ب31,50 م و ارتفاعها 50م وقد بني هذا الجامع سنة982هـ / 1574م، جامع السلطان أحمد أو الجامع الأزرق لما يحويه من بلاطات خزفية تكسو جدران بيت صلاته والتي يغلب عليها اللّون الأزرق وقد بني سنة 1018هـ / 1609 م، كما نجد بعض المساجد في بعض الولايات التي كانت خاضعة للدولة العثمانية كمصر، نفس الطراز الوافد العثماني منها مسجد سنان باشا: 978 هـ / 1571م، وجامع مسيح باشا: 983هـ/ 1610م ، وجامع الملكة صفية: 1019هـ / 1647م. **وانظر أيضا:**

- عبد العزيز لعرج " مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر "، المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي 3، الندوة العلمية الرابعة، القاهرة ، 2002. ص528 .
- أندريه ريمون، العواصم العربية، عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية، تعريب: قاسم طوير، دمشق، 1986، ص339 .
- اوقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، استانبول، 1987، ص. 195– 200.
- محمد أبو العمايم، آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، المساجد والمدارس والزوايا، مج1، إشراف وتقديم: إكمال الدين إحسان اوغلي، إسطنبول 2003 ، ص71 – 134.
- Ekrem(A.*), L'art en Turqui* , Paris, 1981, p.78-82.

[16] عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط2، الجزائر، 1965، ص158.

klein (H.), Op.Cit,p.153[17]

[18] بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص73.

[19] بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص78– 85.

[20] محمد بن ميمون الجزائري ، *التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية*، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص349.

[21] Ballu (A.), « Quelque mots sur l'art musulman en Algérie », ***IN.*** ***Revue Africaine*** , 1904, Alger, p.171-183.

[22] أحمد بن هطال التلمساني، *رحلة محمد " باي الغرب الجزائري " إلى الجنوب الصحراوي*، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم الناجر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص 28.

[23] وادي ريغ نسبة إلى قبيلة ريغة البربرية والتي كانت توجد في الغرب الجزائري وبالضبط قرب مدينة مليانة، حيث استقرت بالمنطقة وحكمتها لمدة من الزمن، و**أنظر**: Philipe(p.), *Etapes Sahariennes*, Alger, 1980,p.15.

[24] محمد العيد التيجاني ، *الزاوية التيجانية بتماسين بين الأمس واليوم*، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الجزائر، 2008، ص91.